مدخل سيكولوجية الفطرة واللغة (*)

مقـــال (24):الهرم الفطري مقابل هرم ماسلو الوهمي رسائل نفسية فطرية

د. موسى الزعبي – الطب النفساني، سوريا / السعودية

methqalm@yahoo.com

رغم توصيف ماسلو التفصيلي لطبقات هرمه إلا أن تراتبيته كانت اعتباطية وغير واقعية ولا تنطبق إلا على أشخاص لا يمثلون ربما واحد بالمئة من البشر وبالتالي هو هرم افتراضي وليس واقعي والاحتجاج فيه من باب العرض التاريخي فقط

البدن وعاء النفس ويحتاج قليلا من القوت والطعام ليستمر وفي موته تموت النفس ولكن إتخام البدن بالطعام والشهوات فهو أمر نفسي وليس بدني

كم شخص عاش على الأسودان الماء والتمر وربما افتقدهم ومع ذلك حقق الأمن الجسدي والنفسي وبنفس الوقت ملك أعظم درجات التقدير وتحقيق الذات والأنبياء عليهم السلام مثال ذلك

ما يميز الكمال الإنساني هو الكمال الخلقي وليس العلمي لأن العلم بتطور مستمر بكل عصر بينما الأخلاق الفطرية واحدة عبر جميع الأزمنة والحضارات والترقي فيها يعتبر من أرقى درجات الكمال الإنساني وتحقيق وتقدير الذات

هذه حال الأنبياء جميعا حيث تعتبر أخلاقهم قدوة للبشرية عبر التاريخ ورغم امتلاك

رغم الثورة التي أحدثتها المدرسة الإنسانية وعلى رأسهم ماسلو ضد حيونة الإنسان بأنه عبارة عن حيوان متطور من حيوانات أدنى وأنه أسير غرائزه وماضيه والمؤثرات البيئية كماجاء بالنظرية التحليلية والسلوكية وغيرهم إلا أنه وقعت بمطبات أخرى فرغم توصيف ماسلو التفصيلي لطبقات هرمه إلا أن تراتبيته كانت اعتباطية وغير واقعية ولا تنطبق إلا على أشخاص لا يمثلون ربما واحد بالمئة من البشر وبالتالي هو هرم افتراضي وليس واقعي والاحتجاج فيه من باب العرض التاريخي فقط وظهر ذلك بالنماذج الشخصية التي ضربها مثلا لهرمه والتي ربما تنم عن جهله لحقيقة هذه النماذج أو لغايات معينة ! وأشبه بعملية التجميع الصيني للأجهزة الإلكترونية لا شك افتراض أن الإنسان لديه حاجات تميزه عن الحيوان كتقدير الذات وتحقيق الذات افتراض صحيح ويحسب للمدرسة الإنسانية التي يشكل ابراهام احد أقطابها ولكن وقع بفخ المنطق اليوناني ومن سبقه من نظريات نفسية وخاصة المعرفية لبيك بأن يجعل الخارج أو المجتمع هو معيار تحقيق وتقدير الذات ومع أهمية ذلك إلا أنه انعكاس ظاهري أشبه بكهف أفلاطون وانعكاس ظل الأشخاص على جدرانه والخلل الآخر هو افتراض التراتبية بالهرم والخلط بين إشباع البدن وإشباع النفس وبين السعادة والرضى.

فالبدن وعاء النفس ويحتاج قليلا من القوت والطعام ليستمر وفي موته تموت النفس ولكن إتخام البدن بالطعام والشهوات فهو أمر نفسي وليس بدني وكم شخص عاش على الأسودان الماء والتمر وربما افتقدهم ومع ذلك حقق الأمن الجسدي والنفسي وبنفس الوقت ملك أعظم درجات التقدير وتحقيق الذات والأنبياء عليهم السلام مثال ذلك علاوة على الخلط بين الكمال العلمي والكمال الأخلاقي وغياب معيار تلك الكمالات فجميع هذه الكمالات لا يمكن لأحد تحقيقها كمطابقة حقيقية ولكن تبقى الغاية الوصول لذروتها وما يميز الكمال الإنساني هو الكمال الخلقي وليس العلمي لأن العلم بتطور مستمر بكل عصر بينما الأخلاق الفطرية واحدة عبر جميع الأزمنة والحضارات والترقي فيها يعتبر من أرقى درجات الكمال الإنساني وتحقيق وتقدير الذات وهذه حال الأنبياء جميعا حيث تعتبر أخلاقهم قدوة للبشرية عبر التاريخ ورغم امتلاك بعضهم جميع أسباب القوة والملك فلم تتغير أخلاقهم عكس بقية البشر فانيشتاين الذي اعتبره ماسلو وصل للكمال فهل اعتبر نظريته النسبية التي لا تزال موضع جدال وكذلك القنبلة النووية التي قتلت آلاف البشر ولم يقدم أي اعتذار أنه اكتمل بشريا ومثله غاندي الذي صنعه المستعمر الإنكليزي كبطل سلام لأسباب كثيرة وقال قولته المضطربة بأن أمه البقرة أفضل من أمه الحقيقة التي ولدته فالبقرة يستفيد من لبنها وروثها وجلدها بينما أمه الحقيقية تكلفه بكبرها وعند موتها ثمن الكفن بالمقابل قرن الإسلام عبادة الله بالإحسان للوالدين كونهم السبب الثاني لوجوده بعد الله ودعا

الإنسان للتمسك بجذوره الأبوية وبرهم حتى لا يصبح كسنبلة دون تاريخ فتقدير وتحقيق الذات يحتاج لسمت خارجي يقيس الإنسان نفسه فيه وينتمي إليه ولا يمكن تقييمه دون ذلك كما أكدت جل الأبحاث النفسية فالإنسان البدائي الذي عاش بالأدغال كان همه الطعام والشراب وكذلك حال القبائل البدائية كانت تفكر بالصيد والرعي وكان ذلك جل قيمتها وتفكيرها لأن الوسط الاجتماعي والبيئي الطاغي كان ذلك وهذه حال طبيعة الإنسان الإخلاد لذلك وأقرانه من البشر بينما اعتبر الإسلام الإنسان كائن فطري مفطور على العبادة للخالق والأخلاق الفطرية مهما تغير الوسط الاجتماعي حوله وحالما يتخلق الإنسان بهذه الغرائز الفطرية يتحرر من سيطرة الغرائز الحيوانية ويبقى بترقي مستمر باستمرار بتكوثر أبنيته النفسية بالغرائز الفطرية ويحقق أقصى درجات القيمة وتقدير الذات بذلك فهو خليفة ونائب خالقه بهذا الكون إذا فعل ذلك ولكن إذا أطاع غرائزه الحيوانية تسفل وأصبح بدون قيمة أو تقدير مهما حاول تصنع ذلك أمام محيطه ومجتمعه وتحرر الإنسان من سطوة تلك الغرائز يجعله بقمة الإنتاجية والعملية المفيدة ويصبح إنسان معطاء ومفيد لنفسه والمجتمع ويزداد عقله وسعة صدره بتخلقه بغرائزه الفطرية لأن يقلل من هدر الطاقة النفسية والجسدية بتفريغ الإثارات التي تسببها الغرائز الحيوانية والغرائز الفطرية تبدأ بالتفتق والعمل بنهاية الطفولة لذلك تربية الطفل على عقيدة التوحيد أي الانتماء للذات الخالقة يكوثر الأبنية النفسية والهرم الفطري باتجاه واحد يعتبر صاحب القوة المطلقة والجمال والجلال المطلق و يبقى الإنسان بسواء نفسي وبأعلى درجات التقدير وتحقيق الذات فالأمن الغذائي والأمن النفسي لا يتحقق إلا بالانتماء لخالق الأمن وليس لأسباب اجتماعية عابرة ومتغيرة فهناك كثير من الميسورين وحتى الأثرياء يعيشون قلق الصحة وفقد المال والبخل وقلق الفقر لأنهم أوصدوا الغرائز الفطرية وعلاج ذلك بإعادة كوثرت أبنيتهم النفسية بشكل صحيح وختاما فإن هرم ابرهام ماسلو سلط الضوء على حاجات إنسانية ونظر للإنسان بمنظور أعلى من الحيوان عكس المدرسة السلوكية والتحليلية ولكنه لم يخرجه من إطاره الدهراني والدنيوي كحال المدرسة المعرفية بل كان متأثرا بالوجوديين بأن هذا الإنسان قذف لهذا الوجود هكذا مزود بغرائز إنسانية وسيخرج من هذا الوجود للعدم والرد على هرم ماسلو بالهرم الفطري وإعادة سمت الإنسان وبوصلته الفطرية فغرائزه العقلية وغرائزه الفطرية تخبره على مدار الساعة أنه كائن فطري وأن هناك عالم ما بعد الوجود سيعود إليه يوما ما وعليه الاستعداد لذلك العالم مع عدم نسيان دوره في هذه الحياة الدنيا العابرة وتراتبية الهرم الفطري هي الأكثر واقعية وتطابق مع حقيقة الإنسان وذلك بالتخلق بالغرائز الفطرية والإنتماء لخالقه لتحقيق الأمن النفسي وعدم نسيان جذوره وعلى المعالج سبر هذا الهرم والبحث عن الخلل في طبقاته والعمل على إصلاحها ليعيد السكينة النفسية للإنسان .. المدرسة النفسية الفطرية من كتاب مدخل إلى سيكولوجية الفطرة واللغة

بعضهم جميع أسباب القوة والملك فلم تتغير أخلاقهم عكس بقية البشر

غاندي الذي صنعه المستعمر الإنكليزي كبطل سلام لأسباب كثيرة وقال قولته المضطربة بأن أمه البقرة أفضل من أمه الحقيقة التي ولدته فالبقرة يستفيد من لبنها وروثها وجلدها بينما أمه الحقيقية تكلفه بكبرها وعند موتها ثمن الكفن

قرن الإسلام عبادة الله بالإحسان للوالدين كونهم السبب الثاني لوجوده بعد الله ودعا الإنسان للتمسك بجذوره الأبوية وبرهم حتى لا يصبح كسنبلة دون تاريخ

اعتبر الإسلام الإنسان كائن فطري مفطور على العبادة للخالق والأخلاق الفطرية مهما تغير الوسط الاجتماعي حوله وحالما يتخلق الإنسان بهذه الغرائز الفطرية يتحرر من سيطرة الغرائز الحيوانية ويبقى بترقي مستمر باستمرار

إذا أطاع غرائزه الحيوانية تسفل وأصبح بدون قيمة أو تقدير مهما حاول تصنع ذلك أمام محيطه ومجتمعه

إرتباط كامل النص:
www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Zoobi.InstinctPyramid.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf